

مصطلحات سيبويه الصوتية ومركزيتها في الثقافة اللغوية العربية -قراءة في مصطلح "اللين"-

**Sibawayh's phonetic terms and their centrality in Arabic linguistic culture
-A reading of the term "leniency"-**

وردة مسيلي¹، زهيرة قروي²

¹المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف، ميله، مخبر اللسانيات التطبيقية بين العلم والأدب

(الجزائر)، الإيميل المهي: o.mecili@centre-univ-mila.dz

²جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 1، مخبر الدراسات التراثية (الجزائر)، الإيميل المهي:

zahirakaroui@gmail.com

النشر: 2025/06/30

القبول: 2025/06/20

الاستلام 2025/03/08

ملخص:

البحث في المصطلح ضرورة ملحة تستدعي الحاجة إلى فهم العلوم والكشف عن مفاهيمها الذهنية. والدرس اللساني البصري هو مجموع قواعد لغتنا الحاملة لميراثنا الفكري والحافطة للإبداع الحضاري فلا أقل من أن نهتم بثروته الاصطلاحية. لهذا كَوْن المصطلح البصري عماد هذا البحث إذ أسهم في التعريف بالمنظومة المصطلحية المجسدة في مؤلفات البصريين خلال القرن الثاني الهجري ولقد رأى معظم اللغويين المحدثين أن المصطلحات اللسانية أخذت شكل الاستقرار على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-174هـ) ثم تلميذه سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت 180 هـ) وهذا ما دعانا إلى التركيز بشكل محوري على الجهاز المفاهيمي الاصطلاحي عند سيبويه واختارنا مصطلح اللين ليكون عنوانا على عبقرية سيبويه الإبداعية الكلمات المفتاحية: المصطلح، مؤلفات البصريين، مصطلح اللين، عبقرية سيبويه.

Abstract:

Researching terminology is an urgent necessity driven by the need to understand sciences and uncover their mental concepts. The Basrian linguistic study is the sum of our language's rules, carrying our intellectual heritage and preserving cultural creativity. Therefore, it is essential to pay attention to its terminological wealth. This is why Basrian terminology is the core of this research, as it contributes to defining the terminological system embodied in the works of the Basrians during the second century AH. Most modern linguists believe that linguistic terms began to stabilize at the hands of Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi (100-174 AH) and then his student Sibawayh (Amr ibn Uthman ibn Qanbar) (d. 180 AH). This led us to focus centrally on Sibawayh's conceptual and terminological apparatus. We chose the term "لين" (softness/leniency) to be a title for Sibawayh's creative genius.

Keywords: Terminology, Basrian works, the term "لين" (softness/leniency), Sibawayh's genius.

1. مقدمة:

اللغة معجماً خاصاً» (المسدي 1993م، ص 57)

كما يقول عبد السلام المسدي. ومعنى ذلك أن كل لغة قادرة على صناعة مصطلحها. إذ إن كل علم يصطنع لنفسه من اللغة معجماً خاصاً فله مجموعة من المصطلحات التي يأخذها من اللغة نفسها والتي تؤدي إلى تميزه عن غيره من العلوم؛ من هذا المنطلق فمحاوله دراسة المصطلح اللساني عند البصريين هي وجه من وجوه استثمار التحليل المصطلحي بغية الكشف عن المضامين الفكرية الثاوية خلف البنى المعجمية؛ وهي بذلك مراجعة للمصطلح القديم بل هي مراجعة للمعرفة القديمة في بعدها اللساني والتي تعد قراءة للمصطلح القديم قصد تحقيق إضافة جديدة إلى تلك المعرفة القديمة بالتوسيع في نطاقها أو تقديمها.

ولقد رأى معظم اللغويين المحدثين أن المصطلحات اللسانية أخذت تتضح وتأخذ شكل الاستقرار على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-174هـ) ثم تلميذه سيبويه (عمر بن عثمان بن قنبر) (ت 180 هـ)؛ فقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم عدة مصطلحات نسبها إلى الخليل حيث تطورت هذه المصطلحات على يد سيبويه الذي يعدّ المقنن الأول للمصطلحات البصرية وترددت كثيراً في كتابه ثم اقتفى أثره الخالفون من البصريين.

من خلال هذا البسط المبدئي العام نود أن نركز بشكل محوري على الجهاز المفاهيمي الاصطلاحي عند سيبويه واختارنا مصطلح الين ليكون عنواناً على عبقرية سيبويه وإبداعيته.

الين في اللغة ضد الخشونة جاء في اللسان: «الَّيْنُ: ضِدُّ الْخَشُونَةِ. يُقَالُ فِي فِعْلِ الشَّيْءِ اللَّيْنُ:

البحث في المصطلح ضرورة ملحة تستدعيها الحاجة إلى فهم العلوم والكشف عن مفاهيمها الذهنية. والدرس اللساني البصري هو مجموع قواعد لغتنا الحاملة لميراثنا الفكري والحافطة للإبداع الحضاري، فلا أقل من أن نهتم بثروته الاصطلاحية. لهذا كَوْن المصطلح البصري عماد هذا البحث سعياً إلى المساهمة في التعريف بالمنظومة المصطلحية المجسدة في مؤلفات البصريين خلال القرن الثاني الهجري؛ وهي الفترة التي أغنى فيها البصريون اللغة بالمصطلحات وأصلوا مهمة اللغة في خلق المعرفة اللغوية معتمدين على طرق توليدية بواسطتها استطاع اللغويون البصريون تجديد تراثهم المصطلحي.

فتراثنا الفكري العربي يتوسد كوكبة اصطلاحية ممتدة الجذور في العلوم المختلفة؛ ولعل ذلك نابع من الغزارة التوليدية التي تتمتع بها اللغة العربية في إنتاج المصطلح. إذ نعلم أن اللغة العربية كانت لغة حضارية أثرت المعرفة بإسهامها في تطوير العلوم، فكان لها ثروة مفرداتية هائلة من المصطلحات بكل تراكماتها المعرفية والتي شقت طريقها بين الحقول المعرفية لتجد مستقرها بين زوايا المنظومة الاصطلاحية.

فالتراث الفكري العربي بشموليته الحضارية لا يعدو أن يكون في جوهره مخزوناً معرفياً وثقافياً يتبدى لنا في مدى اهتمام علمائنا العرب القدماء بالقضية الاصطلاحية لإقامة العلوم اللغوية بخاصة. حيث إن الدرس اللغوي في التراث يتميز بلغته الاصطلاحية التي يستند إليها ويوظفها في مجالات نشاطه «فكل علم ينحت لنفسه من

المهموسات، وهي حروف لين ومد، مخارجُها متسعةٌ لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسعَ مخارج منها، ولا أمدً للصوت» (سيبويه 1982م، ص176) وهو ما أكدّه ابن جني في القرن الرابع الهجري قائلا: «والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وأليها الألف» (ابن جني، 1993م ص8).

ولقد ترددت هذه الفكرة - أيضا - عند علماء التجويد حيث نصوا على أن حروف المد واللين هي أوسع المخارج وهم يجنحون نحو ما قاله سيبويه فقالوا: «وسميت حروف المد واللين لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب» (عبدواي، 2024م ص9).

والحروف اللينة في عرف البصريين - فضلا عن اتساع مخرجها - مجهورة حيث ربط علماء البصرة بين حروف اللين والمد وبين كونها مجهورة وفي ذلك يقول سيبويه: «وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومد» (سيبويه 1982م، ص176)؛ ويمكننا أن نشرح هذا بعبارة حديثة فنقول: إن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح في هذه الحروف مما يمنحها قوة الوضوح السمعي (la sonorité du son) بحيث إن الناطق لو أوقف اهتزاز الوترين الصوتيين في أثناء النطق بها لاستحالت نفسا.

ومن المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بمفهوم اللين ذلك الذي اصطُح على تسميته بـ "المد" فعلماء البصرة، عند تعرضهم للنظام الصوتي لحروف اللين، أشاروا إلى مصطلح المد. والمقصود بالمد في الاصطلاح الصوتي هو «مطل وإطالة الصوت الهوائي اللين وهو جوهر حروف المد واللين»

لأن الشيء يَلِينُ لِينًا وَلَيَانًا وتَلَيَّنَ وشيءٌ لَيِّنٌ وَلَيِّنٌ مخفف منه، والجمع أَلْيَانٌ. وفي الحديث: يَتَلَوَّنُ كَتَابَ اللَّهِ لَيِّنًا أي سَهْلًا على أَلْسِنَتِهِمْ وَيُرَوَّى لَيِّنًا بِالتَّخْفِيفِ، لغة فيه. وألانه هو لَيِّنُهُ وَأَلْيَنُهُ: صَيَّرَهُ لَيِّنًا» (ابن منظور، 1955م ص280).

أما اللين في الاصطلاح الصوتي فهو «إخراج الحرف من غير كلفة على اللسان» (الصالح 2014م، ص283).

ولأهل البصرة معالجات مختلفة لأصوات اللين فلقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة» (الفراهيدي، 2007م، ص64)، ولعل الخليل خص الألف بهذه الصفة حتى يميز بينها وبين ما سموه الألف اليابسة وهي الهمزة.

أما سيبويه فقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على صوتي الواو والياء مستخلصين ذلك من قوله: «ومنها اللَّيِّنَةُ، وهي الواو والياء، لأن مُخْرَجَهُمَا يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما» (سيبويه، 1982م، ص435) والعلة في اتساع المخرج أن الهواء مع أصوات اللين يمر حرا دون أن يعترض مجرى الهواء أي عائق وهي حقيقة أقرها الدرس الصوتي الحديث.

و من الملاحظ أن سيبويه قد فصل بين الألف وبين الواو والياء فسعى الألف صوتا هاويا ملاحظا أن مخرج الألف أكثر اتساعا من مخرج الواو والياء ومخرج الواو والياء أكثر من اتساع مخارج الأصوات الأخرى؛ ويعد سيبويه صاحب أصل هذه الفكرة وقائد الراية في القول بأوسعية حروف اللين والمد فقد قال في باب "الوقف في الواو والياء والألف": «وهذه الحروف غيرُ

وانبسط اللسان بهما وصارتا بمنزلة الحروف الجوامد» (فرغلي سيد عرباوي، 2004م ص16)؛ وقول القرطبي " وتارة يتحيز مخرجها "إشارة إلى أن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما تحدد مخرجهما في نقطة معينة من الجهاز الصوتي .

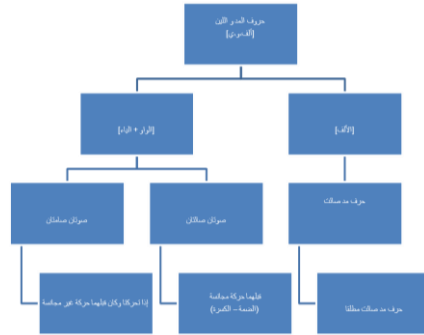
والسؤال الذي يبرز بهذا الصدد هو: ما هي السمة الخاصة التي تميز الألف عن الواو والياء؟ يقول ابن جني: «أصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه إنما هو للألف. وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها وملحقان في الحكم بها» (ابن جني، 1952م، ص 127). والمقصود بذلك أن الألف تكون دائماً صوتاً صامتاً غير قصير وتحمل الياء والواو على الألف حين تكونان مدّين مسبوقين بحركة تجانسهما وتكونان صوتين صامتين إذا لم يسبقا بحركة مناسبة صوتياً لكل منهما.

إن هذا التفريق بين حالي الواو والياء نجد أصوله عند البصريين ابتداء من القرن الثاني الهجري، إذ يقول سيبويه عن الياء: «لما تحرّكت الياء أشبهت غير المعتلّ» (سيبويه 1966م ص184)، «لما تحرّكت خرجت من أن تكون حَرْفَ لين، وصارت مثل غير المعتلّ نحو بَاء ضربه وَبَعْدَ شَهْمًا من الألف، لأن الألف لا تكون أبداً إلا ساكنة» (سيبويه، 1966م، ص 193، 469). من هنا يُلاحظُ أن سيبويه وغيره من البصريين قد ميزوا في أثناء وصفهم النطقي للياء والواو بين حالتَيْها الصائتية والصامتية وإن لم تميز الكتابة العربية بين هاتين الحالتين على النحو الذي يلخصه المشجر الآتي:

(حاج صالح، دت، ص20) ولقد ظهر ذلك في كلام سيبويه حين قال: «ومنها اللينة وهي الواو والياء.... وإن شئت أجريت الصوت ومددت» (سيبويه، 1982م، ص 435). أما المبرد فقد أطلق على {الألف والواو والياء} مصطلح اللين أحياناً كما وصفها بالمد واللين أحياناً أخرى، أليس هو القائل: «إن الألف التي هي أمكن حروف اللين» (المبرد، 1987م ص210)، وقال: «وبعد هذا فإن حروف المد واللين...» (المبرد، 1987م، ص210). وتجدر الإشارة أن مصطلح اللين غلب إطلاقه على الأصوات الثلاثة {الألف والواو والياء} في كتب العلماء بعد سيبويه فلقد قال ابن دريد في الجمهرة: «وأما حروف المد واللين فثلاثة لا غير الواو والياء والألف» (الحسن، 1992م، ص23) وقال الشريف الجرجاني (816هـ): «حروف اللين وهي الواو والياء والألف سميت حروف اللين لما فيها من قبول المد» (الجرجاني، 1978م ص90). وتسمى هذه الثلاثة عند القراء بحروف المد واللين (فرغلي سيد عرباوي، 2004م، ص9) وهما وصفان لازمان للألف من غير شرط لأنها لا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً.

ويكونان في الواو والياء بشرط أن يكونا متولدين عن حركة تجانسهما حيث يخصص كثير من علماء التجويد مصطلح حروف المد واللين للألف مطلقاً وللواو والياء إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما كما خصصوا مصطلح حروف اللين للواو والياء إذا كانا غير ذلك. قال عبد الوهاب القرطبي (ت 462هـ): «الواو والياء تكون تارة من حروف المد واللين بأن تسكننا ويكون ما قبلها منها وتارة يتحيز مخرجها إذا تغيرتا عن هذا الموضع بأن تسكننا وينفتح ما قبلها ومتى وجد ذلك زال عنها معظم المد وبقي اللين

الشكل (1): حروف المد الصامتة والصائتة.



المصدر: إعداد الباحثين.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها أن الواو والياء في الحالتين الموضحتين في المشجر السالف لا يمكن اعتبارهما فونيمًا واحدًا؛ إذ هناك فرق بين الواو المسبوق بحركة مجانسة والواو المتحركة كما هناك فرق بين الياء المسبوق بحركة مجانسة والياء المتحركة ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

- قلة وضوح الثانية بالنسبة للأولى.
- ضيق مجرى الهواء مع الثانية بالنسبة للأولى.

على هذا الأساس لم يغب عن ذهن علماء العربية أن للواو والياء طبيعة مزدوجة وهذا أمر أكدته الدراسات الصوتية الحديثة التي أشارت إلى أن النظام الفونولوجي للعربية يشتمل على فونيمين يؤديان وظيفتين في النسيج اللغوي وهما الواو والياء. فهما حركتان خالصتان كما يقومان بدور الأصوات الصامتة وأطلقوا عليهما مصطلح "شبه الصائت" (semi-voyelle) وهو مصطلح يشير في اللسانيات المعاصرة إلى الأصوات اللغوية التي لها بعض خصائص الصوائت من جهة وبعض خصائص الصوامت من جهة أخرى حيث يعبر عن مفهوم شبه الصائت في اللسانيات الغربية بأحد المصطلحين (semi-voyelle) و (semi-voiced).

(consonne). ونكتفي هنا بإيراد تعريف معجم اللسانيات الذي أشرف على تأليفه جورج موانا فيقول: «يقصد بالمصطلحين شبه صائت وشبه صامت المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين الإنتاجات الصوتية التي يمكن النظر إليها على أنها صنفوسيط بين الصوائت والصوامت لخصائصها النطقية (الانفتاح) وتوزيعها داخل المقطع (J.Dubois et autres, 1991, p433). كما هناك مصطلحات أخرى كانت تنازع هذين المصطلحين قبل أن يشيعا ويتغلبا على ما عداهما منها مصطلح (glide) لدى علماء الأصوات الإنجليز وهو يتميز على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتيا ولا صامتيا (J.Dubois et autres, 1991, p433).

أما اللسانيون العرب فقد استخدموا أكثر من مصطلح واحد للإشارة إلى هذا الصنف من الأصوات؛ فلقد اصطلح برجستراسر على تسمية الواو والياء بشبه الحركات (برجستراسر 1977م، ص 47)، ويرى إبراهيم أنيس أن كل من الواو والياء صوت انتقالي (إبراهيم أنيس 1947م، ص 42) ومن أجل هذه الطبيعة الانتقالية أمكن - حسب رأيه - أن يعدا من الأصوات الصامتة كما أنهما قابلان للتحويل إلى أصوات لين خالصة؛ وهي التسمية نفسها التي اعتمدها المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات في ترجمة المصطلح الإنجليزي (Glide) (نخبة من اللغويين العرب، 1985، ص 57)، فضلا عن استخدامه مصطلح "شبه مصوت" ويقابله بالمصطلح الأجنبي (semi-voyelle) (نخبة من اللغويين العرب، 1985، ص 129)؛ أما أحمد مختار عمر فإنه يفرق بين الواو والياء من حيث وضعيهما الصائتية والصامتية؛ وانطلاقا من هذه

تتركب من مضاف (نصف - شبه) وهو ترجمة للسابقة (semi) ومضاف إليه (صوائت - حركات - مصونات) وهي ترجمة للمقابل الأجنبي (voyelle). غير أن ترجمة اللاحقة (semi) بالمفردة العربية "شبه" أكثر دقة من المقابل العربي "نصف"، لأن "نصف" إنما تشير إلى معناها الكمي الرياضي، أما المقابل العربي "شبه" فهو يشير إلى أن الواو والياء صوائت قريبة من الصوائت وهي أيضا صوائت قريبة من الصوائت وهذا ما يبرر تسميتهما بـ "أشباه الصوائت". وفي كل الأحوال تبقى الياء والواو متميزتين عن باقي الأصوات العربية صوتيا وفونولوجيا: أما تميزها الصوتي وهو أصل تسميتهما بـ "أشباه الصوائت"، وأما تميزها الفونولوجي وهو أصل تسميتهما بالصوائت نظرا لما تقوم به من وظيفة في البناء اللغوي كتكوين جذور الاشتقاق في معجم اللغة العربية.

هذا بالنسبة لتسمية الياء والواو باعتبار انتمائهما إلى المنظومة الصوائتية والمنظومة الصوامتية؛ بقي أن نوضح بعض الخصائص المتعلقة بالحروف اللينة في العرف الصوتي الحديث. فكل صفة وضعت لهذه الحروف عدّها الصوتيون المحدثون تسمية لها. من هنا استخدم المحدثون بالإضافة إلى المصطلح التراثي مصطلحات أخرى للتعبير عن هذه المجموعة من الأصوات، كل مصطلح منها يوضح خاصية من خصائص الأصوات اللينة؛ ومن تلك المصطلحات:

- حروف العلة وهذه التسمية جاءت عند تمام حسان (تمام حسان، 1973م، ص70) (تمام حسان، 1979م، ص108)، كما أطلق عليها أحمد مختار عمر اسم "العلل" والعلة

التفرقة يرى أن الياء والواو في وضعهما الأول هما "نصف حركة" (semi-voyelle) وفي وضعهما الثاني فهما "نصف ساكن" (semi-consonne) (أحمد مختار عمر، 1975م، ص330).

ومن المصطلحات الأخرى التي استخدمت للإشارة إلى هذا الصنف من الأصوات نذكر منها:

- أشباه الصوائت وهي تسمية اعتمدها محمد أمزوي في دراساته الصوتية ممثلة في مقاله "أشباه الصوائت في اللغة العربية (نظامها ووظائفها)" (أمزوي، 1999م).
- أنصاف الحركات وهي تسمية اعتمدها كمال بشر في مؤلفاته اللسانية فقال معلا: «فمن الثابت أن نطق صوتي الواو والياء الصامتتين يشبه نطق صوتيهما بوصفهما حركتين إلى حد ما ولهذا كانت تسميتهما "أنصاف حركات"» (كمال بشر، 1998م، ص36).
- أشباه المصونات وهي تسمية اعتمدها أوديت بيتي (odett petit) في وصفها للواو والياء في العربية (odett petit، 1979م، ص172)؛ ويلاحظ أن هذه التسمية لا تختلف عن مصطلح "أشباه الصوائت" إلا أن الأول مأخوذ من "صوّت" بتشديد الواو والثاني مشتق من الفعل "صات" وكلاهما صحيح في الدلالة على المقصود. علما أن مصطلح "مصوّت" هو مصطلح تراثي وقد أشار إليه ابن جني في خصائصه وأطلقه على حروف المد (ابن جني، 1952م، ص124).

بالتأمل فيما سبق نستنتج أن المصطلحات السالفة الذكر من حيث بنيتها السطحية الدالة

المرافقة للحرف، والحرف هو الصوت الحامل له والذي تشكل بسبب عائق سد مجرى الهواء في نقطة المخرج (point d'articulation) ولذلك اعتبرت الصوائت زمانية عارضة للصوت، أما الصوائت فهي آنية لأنها اعترضت الصوت وقطعته وأوقفت امتداده لذا سميت الصوائت الطويلة حروف مد لأنها ممتدة.

بهذا النحو من التفسير يمكن القول إن الفرق بين الصائت الطويل والصائت القصير ليس اختلافا كتابيا يتمثل في تخصيص رمز للصائت الطويل وعلامة للصائت القصير وإنما هو اختلاف صوتي يتمثل في تباين الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما (MelianiRouag, 1988, p156-157) ومعنى هذا أن كلا منهما فونيمات مستقلة؛ بحيث أن التقابل بينها بأن يقع إحداها موقع الآخر قد يؤدي إلى تغيير في المعنى والصيغة.

وهناك إشارات متناثرة في أعمال البصريين تنبئ عن إدراكهم لحقيقة كل من حروف المد والحركات فهم يقدررون كما جاء في كتاب "الأشباه والنظائر" للسيوطي: «أن الحركات والحروف أصوات وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا والضعيف حركة وإن كان في الحقيقة شيئا واحدا» (جلال الدين السيوطي، 1902م ص381). وأصل هذه الفكرة إنما يرجع إلى الخليل بن أحمد وتلميذه سيويه؛ فلقد قال الخليل: «الياء خَلَقَهَا الكسرة...والواو خَلَقَهَا من الضمة» (الفراهيدي، 1913م، ص522) كما قال: «الواو خلقت من الضمة» (الفراهيدي، 1915م، ص1340)، و«الياء

عنده » تتميز بنطق مفتوح وغياب أي عائق» (أحمد مختار عمر، 1976م ص135)، وهي التسمية ذاتها التي اعتمدها نديم آل ناصر الدين في معجم (دقائق العربية) فيقول: «أحرف العلة: الأحرف الثلاثة التي هي الألف المنفتح ما قبلها والياء المنكسر ما قبلها، والواو إذا انضم ما قبلها تسعى العلة وأحرف المد واللين» (نديم آل ناصر الدين، 1997م، ص5).

وتجدر الإشارة إلى أن استعمال هذا المصطلح إنما يعود في الأصل إلى الحركة الاصطلاحية التراثية حيث استخدمه علماء العربية قديما وبخاصة في مجال الصرف فاهتموا بحروف العلة من حيث وظائفها الصرفية والنحوية أكثر من الاهتمام بقيمتها الصوتية.

- الصوائت الطويلة ويشير الموصوف إلى قوة الوضوح السمعي المميز لحروف المد واللين وتشير الصفة إلى خاصية الطول أو الفترة الزمنية (مدة النطق) التي يستغرقها نطق كل منها قياسا بالصوائت القصيرة وهي الحركات. على هذا الأساس يسميها بعض المحققين (محمد محمد داود 2001م، ص19)، الحركات الطويلة ويسميها جعفر (جعفر دك الباب 1989م، ص60)، وهي الألف والواو والياء المدات المسبوقات بحركة مناسبة لكل منها؛ بحيث إذا طال الزمن مع صوت الفتحة نتج عنه ألف المد وإذا طال مع الكسرة نتج عنه ياء المد وإذا طال مع الضمة نتج عنها واو المد إذ إن الصائت قصيرا كان أم طويلا هو الحركة

خلقت من الكسرة» (الفراهيدي، 1913م ص467) وقال سيبويه: «وإنما الحركات من الألف والياء والواو» (سيبويه، 1898م ص101).

تردد هذا المعنى عند كثير من علماء البصرة فلقد أفاض المبرد في شرح تلك الخلاصات المركزة الواردة في كلام سيبويه فصّر قائلا: «الحركات أبعاض حروف المد وأن الفتحة من الألف والضمّة من الواو والكسرة من الياء» (المبرد، 1881م، ص56). والنتيجة التي نستخلصها مما تقدم أن الصوتيين المحدثين قد اتفقوا مع علماء البصرة في تحديد مفهوم اللين وإن اختلفوا معهم في التسميات المتعددة التي أطلقوها على هذا الصنف من الأصوات؛ وأرى أن تسمية حروف اللين بالمصوتات الطويلة هي أقرب إلى المصطلح الإنجليزي (long vowels) (Bloomfield, 1935, p387)، وتصلح أن تكون مقابلا لترجمتها له؛ كما أن كلمة "المصوت" مصطلح عربي ميز الحركة التراثية عند علمائنا العرب القدماء. فقد أطلقه أبو العباس المبرد (ت 285 هـ) على الحركات الطويلة وتابعه ابن جني (ت 392 هـ). أضف إلى ذلك أن هذا المصطلح يكشف لفظه بوضوح عن الحلقة السمعية المكونة لبنية الصوت لما تمتاز به المصوتات من قوة الوضوح في السمع وخلو المجرى الصوتي من أي عارض عضوي. بهذا المعنى يعرف دانيال جونس المصوتات فيقول: «هي الأصوات المجهورة التي ينبعث الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من الحلق والفم، بحيث لا توجد معه إعاقة أو تضيق يسمح بوجود احتكاك مسموع»

ومن المصطلحات الصوتية ذات الصلة بصوت الألف مصطلح "الهاوي" وهو مصطلح استعمل وصفا لصوت الألف. ولو اتجهنا ناحية الموروث البصري لوجدنا سيبويه يقرر أن الألف هو الحرف الوحيد الهاوي فيقول: «ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مُخْرَجُهُ أَشَدُّ من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفَتَيْكَ في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَلَ الحنك، وهي الألف» (سيبويه، 1966م، ص436).

من خلال النظر الدقيق لكلام سيبويه يتبين أنه قد اتخذ هذا المصطلح نسبة إلى الهواء الذي يتسع مجراه أثناء حدوث هذا الصوت دون أن يعترضه أي عائق في مجراه؛ بحيث يكون فيه مجرى الهواء متسعا أكثر من أي صوت آخر. ويعد سيبويه أول من اعتمد أوسع حروف المد كوسيلة لتحديد، غير أن المد الذي في الألف أكثر من المد الذي في الياء والواو لأن اتساع الصوت بمخرج الألف أشد من اتساعه لهما؛ حيث اختار سيبويه الألف بالذات لأن ظاهرة حرية مرور الهواء وانطلاقه إنما تتحقق بصورة أوضح في نطق الألف. كما خص المبرد مصطلح "الهاوي" للألف وحده فيقول أثناء حديثه عن الهمزة ومخرجها «أبعد الحروف ويلها في البعد مخرج الهاء، والألفهاوية هناك» (المبرد 1878م، ص192). بهذا المفهوم البصري استخدم هذا المصطلح عند جل اللغويين الذين جاؤوا بعد

ولهذا المصطلح لدى الخليل مرادف هو "الجوف" فيقول: «الحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس، وهي الواو والياء والألف اللينة وسائر الحروف مجروسة» (الفراهيدي، 1913، ص406).

ولقد ورث علماء التجويد هذه المفاهيم البصرية، إذ استعمل ابن الجزري (ت 833هـ) مصطلح "هوائي" للدلالة على حروف المد باعتبارها صوائت تخرج من الجوف فيقول: «المخرج الأول-الجوف-وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين، وتسمى الهوائية والجوفية» (ابن الجزري، 1999م، ص84) والملاحظ في هذا المجال أن ابن الجزري قد أخرج الهمزة من الحروف الجوفية «لأنهم أصوات لا يعتمدون على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة» (ابن الجزري، 1999م ص84).

أما علماء اللغة المحدثون فيندر في كتبهم استخدام هذه المصطلحات البصرية أمثال {هاوي أو هوائي أو جوفي} ويفضلون وصف الألف بالحركة الطويلة حيث يتألف النظام الصائتي للغة العربية، في نظرهم، من ثلاثة صوائت طويلة هي الألف والواو والياء وثلاثة صوائت قصيرة هي الفتحة والضمة والياء. أما الواو والياء فقد ميزوا بين حالتهم الصائتية وشبه الصائتية. و أما الألف فهو في نظرهم لا يكون إلا حرف مد صائت، ولعل لهذا السبب سماه سيويه بالهاوي؛ حيث أن وصف المحدثين للألف إنما هو وصف للصائت الطويل وهو رمز دال على مد الفتحة ولحروف

سيويه. فهذا رضي الدين الأستريادي (ت688هـ) قد استخدم هذا المصطلح دالا به على اتساع المخرج لهواء الصوت فيقول: «والهاوي الألف لاتساع الصوت به » (الإستريادي، 1975م، ص258).

وأول ما نقف عليه في هذا المضممار أن بعض علماء التجويد قد فسروا مصطلح "الهاوي" نحوًا من تفسير سيويه لكن بعضهم أعطى له معنى جديدا وجاء ذلك على لسان "عبد الوهاب القرطبي" قائلا: «ويقال لها أيضا الهاوي لأن الفم يفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة وتهوي في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء من الحلق» (عرباوي، 2005م، ص20). فالألف بهذا المعنى حرف هاوي لأنه يهوي في الفم حتى يتصل بمخرج الهمزة أو مخرج الهاء. إن ما سبق من ملاحظات يجرننا إلى إثارة نقطة أساسية تتعلق بمصطلح "هاوي" وهي تشير إلى تلك التسميات الموضوعية من قبل الخليل بن أحمد والتي اعتمدها لكي يفرق بين المنظومة الصوامتية والمنظومة الصوتية للغة العربية فهناك إشارات في أعمال الخليل تنبئ عن استخدامه مصطلح "هوائي" وهو يشير إلى أهم خصائص المصوتات الطويلة وهو خروج النفس معها حرا طليقا من غير أن تعترضه عوائق من شأنها أن تعيق انسيابه فيقول: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة» (الفراهيدي، 1913م ص64). ويقول في موضع آخر: «الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء» (الفراهيدي، 1913م، ص9)

المدّ، في النظام الكتابي العربي، دورٌ باعتبارها رموزاً إملائية تشير إلى إطالة الحركات .

وإلى جانب مصطلح الهاوي نجد مصطلحي الحرف الحي والحرف الميت:

فلقد قدم لنا البصريون فكرة واضحة عن شبكة العلاقات الخاصة بالمنظومة الصوتية فميّزوا في أثناء دراستهم لخصائص البنية الصوتية للسان العربي بين الحرف الحي والحرف الميت. أما الحرف الحي فهو مصطلح ينعت به الحرف المتحرك أي الذي يقبل الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة يقول المبرد: «المتحرك حرف حي» (المبرد 1994م، ص286). أما الحرف الميت فالمراد به الحرف الساكن الذي لا تدخل عليه إحدى الحركات الثلاث يقول سيبويه: «وهذه الحروف لمّا لم يكن أصلها التحريك وكانت ميّنة لا تدخلها الحركة على حالٍ» (سيبويه 1991م، ص356).

ويقول في موضع آخر: «وإنما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد: الياء والواو والألف وما بعدها بمنزلة زيادة واحدة لسكونها وضعفها، فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد إذ كانت ميّنة خفيفة» (سيبويه 1991م ص262). وواضح من كلام سيبويه أن الألف والواو والياء حروف ميّنة لأنها لا تقبل الحركة وهي لذلك ساكنة وضعيفة. ويؤيد رأي البصريين ما ذهب إليه ابن جني حين قال: «الهمزة حرف حي متحرك والألف ساكنة» (ابن جني، 1954م، ص83).

وجلية الأمر أن البصريين أطلقوا وصف [ميّنة-ساكن] على ما ليس بمتحرك أي ما لم تعقبه حركة حيث تعدّ الصوائت غير القصيرة، في نظرهم، حروفاً ميّنة لأنها أصوات ساكنة وهي

خفية إذ لا يمكن النطق بها بمفردها ولهذا كان من الضروري دعمها بصوت صامت متحرك ومعنى هذا أن الحركات الطويلة في النظام الصوتي للعربية مرتبطة في وجودها بصوت صامت يلفظ قبلها ويتصل بها. كما أطلق البصريون وصف [حي-متحرك] على الصوت الصامت لأنه تدخله إحدى الحركات الثلاث (الفتحة-الضمة-الكسرة) فتلفظ بعده حركة متصلة به فيكون متحركاً.

والذي يمكن قوله في هذا المجال أن وصف القدماء للحرف الميّت بالساكن تعوزه الدقة لأن وصف الصوت بكونه ساكناً أو متحركاً لا يمكن إلا في الصوائت فقط؛ أما الأصوات الصائتة فلا يمكن أن نطلق عليها تسمية متحركة أو ساكنة لأن الحركة أو انعدامها يتبعان الأصوات الصائتة فقط يقول تمام حسان: «الحروف الصحيحة تقبل التحريك والإسكان أما حروف العلة فلا تقبل تحريكاً ولا إسكاناً» (تمام حسان، 1973م، ص80) ومعنى هذا أن الصوت الصامت قد يكون متحركاً أو ساكناً: فإذا تلفظت بعده حركة متصلة به فيكون متحركاً وإذا لم تتلفظ بعده حركة متصلة به يكون ساكناً. أما الأصوات الصائتة غير القصيرة فلا يمكن وصفها بالساكنة، إذ إن حروف المد هي حركات ممدودة، وإذا كان السكون هو انعدام الحركة فكيف تكون الحركة ساكنة.

ولقد حاول جعفر دك الباب تحليل تسمية القدماء للحرف الميّت بالساكن فرأى أن الحركات الطويلة هي حركات مشبعة، فالألف هي فتحة مشبعة وياء المد هي كسرة مشبعة وواو المد هي ضمة مشبعة ولهذا فإن «وصف

حروف المد في علوم العربية بأنها سواكن يقصد به الإشارة إلى أن إشباع لفظ حركة المتحرك يشبه السكون من حيث إن الإشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد، بل يؤدي فقط إلى تغيير وصف المقطع» (جعفر دك الباب، 1989م، ص 67).

من هذا المنطلق رفض المحدثون استخدام تسمية "الساكن" لوصف الحرف المميّ بل وظفوا هذا المصطلح للدلالة على مفهوم اصطلاحي جديد؛ حيث أصبح مصطلح "ساكن" يشير إلى الأصوات التي كان القدماء يسميها الحروف أو الصوامت حسب الاصطلاح الصوتي الحديث. وعليه فالصوت الصامت، في عرف المحدثين، هو صوت ساكن والمقصود بالسكون -هنا- هو كل صوت ليس حركة سواء أكان مشكلا بالسكون أم بغيره من علامات الحركات (كمال بشر، 1998م ص 25)؛ ونستطيع القول إن مصطلح "صامت" يوحى لفظه بضعف الوضوح السمعي لذا فهو ساكن والذي يحركه إنما هو الحركة. أما مصطلح "المصوّت-الصائت" فيوحي لفظه بدرجة عالية من الإسماع.

وحري بنا أن نشير في هذا المجال أن الألف في النظام الصوتي للعربية لا يكون إلا حرفاً مميّتا - حسب الاصطلاح البصري- لأنه لا يقبل الحركات. أما الواو والياء فقد يكونان صوتين حيّين لقبولهما إحدى الحركات الثلاث، وقد يكونان مميّتين في حالة عدم تحملهما الحركة. وعلماء البصرة قد راعوا ذلك جيدا عند تعرضهم للنظام الصوتي للعربية؛ فلقد قال سيبويه: «الألف لا تحرك أبدا» (سيبويه 1898م، ص 197).

تؤيد الدراسات الحديثة مذهب البصريين فالألف في نظر الدارسين المحدثين حرف مدّ صائت مطلقا ولا يكون متحركا أبدا. أما الواو والياء فليهما تأديتان:

- يكون حرف الواو حرفا متحركا إذا كان صوتا صامتا نحو: موكب-مواقف ويكون حركة مطابقة للضمة عندما يكون ساكنا.

- يكون حرف الياء متحركا إذا كان صوتا صامتا نحو ميل-نيام ويكون حركة مطابقة للكسرة عندما يكون ساكنا.

ولعل لهذا السبب سعى هنري فليش الياء والواو في وضعهما الساكن بالصوامت الضعيفة فقال: «كراهة النطق بالصوامت الضعيفة -الواو والياء- مشكلة بمصوتات من جنسها فلا تنطق الواو مع الضمة ولا الياء مع الكسرة» (هنري فليش، 1966م، ص 46).

هذه بعض مفردات المصطلح الصوتي التي تضمنتها نظرية الصوت اللغوي عند نحاة البصرة توصلنا إليها من خلال استنطاق النص التراثي وحاولنا في هذا المقام إحضار نموذج من جهود البصريين ممثلا في سيبويه الذي قدم لنا فكرة واضحة عن شبكة العلاقات الخاصة بالمنظومة الصوتية للغة العربية؛ حيث أن بحثه في المنظومة الصوتية أو المنظومة الصوامتية يؤكد نزعتة لبناء نسق مميز للغة العربية وهو في كل ذلك أراد القيام بدراسة وصفية آتية للغة العربية من خلال البحث عن الملامح التي يمكن أن تحدد مجموع الأجزاء المكوّنة للغة.

وأول ما يوقفنا عليه التمعن الدقيق في هذه الحفريات اللسانية أن تشكّل المصطلحات الصوتية في إطار التجربة التراثية إنما ارتبط

قائمة المراجع:

المؤلفات:

- الإستريادي، ر. ا (1975). م. شرح الشافية . بيروت: دار الكتب العلمية.
- الباب، ج. د (1989). م. نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجرجاني، ع. ب. (1978). التعريفات. بيروت لبنان: مكتبة لبنان.
- الجزري، ا (1999). م. النشر في القراءات العشر. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الحسن، ا. د. (1992). جمهرة اللغة. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- الدين، ن. آ (1997). م. معجم دقائق العربية . لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- السيوطي، ج. (1902). م. (الأشباه والنظائر . مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- الصالح، ص. (2014). دراسات في فقه اللغة . لبنان: دار العلم للملايين.
- العرب، ن. م. (1985). المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات .الأردن: مؤتمر التعريب.
- الفراهمدي، ا. ب. (1913). العين. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- الفراهمدي، ا. ب (1913). م. العين. القاهرة: دار ومكتبة الهلال.
- الفراهمدي، ا. ب (1913). م. (العين. القاهرة: دار ومكتبة الهلال.
- الفراهمدي، ا. ب (1915). م. العين. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

بعبقرية سيبويه الفكرية المؤسسة على فهم لقواعد اللغة وقوانينها. ولقد كانت هذه الحركة الاصطلاحية نواة لوضع المصطلحات اللغوية لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلاً من ذي قبل. وما أسلفنا من استقرارات في هذا الموضوع كفيل بأن يمثل نواة خصبة لنظرية متكاملة أو شبه متكاملة في شأن القضية الاصطلاحية.

إن هذا الذي بسطناه من دراسة البصريين للصوت اللغوي يثير فينا مشاعر الإعجاب فتلك النتائج التي توصلوا إليها وهي على قدر كبير من الدقة حين تقارن مع ما نعرفه اليوم من دراسات مماثلة. حيث كانت هذه النتائج الدقيقة ميداناً جديداً للمقرئين في رصد حياة الصوت اللغوي في مهمة أداء النص القرآني.

من هذا المعطى كان للبصريين دور رائد في تأسيس الدرس الصوتي حيث إن الباحث في الرصيد الاصطلاحي التراثي يدرك أن المصطلح الصوتي قد حظي بمساحة واسعة من اهتمامات سيبويه. ويبدو أن المصطلحات اللغوية المتوافرة حالياً في العربية هي من نصيب علم الأصوات نظراً لما وجد في التراث العربي من مصطلحات تؤدي مفاهيمه في جليها.

ولهذا فإن إعادة إعمال المصطلح التراثي تغنيناً عن الانهيار بما جدّ في المناخ العالمي الأصواتي وهي دعوة صارخة إلى:

- تعقب عمليات تشكّل المصطلحات الصوتية في التجربة التراثية.
- الاستفادة من المخزون المصطلحي وإعماله في الخطاب اللساني الحديث.

استئناف النظر في أعمال القدامى في ضوء مناهج الدرس الحديث وهذا العمل من شأنه أن يشكل حلقة وصل بين التراث والمعاصرة.

- الفراهيدي، ا. ب. (2007). معجم العين. بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال.
- سيبويه. (1898). م. الكتاب. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المبرد (/). المقتضب. بيروت: عالم الكتب /بيروت.
- المبرد (1878). المقتضب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المبرد. (1881). م. المقتضب. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- المبرد. (1994). م. المقتضب. بيروت: دار الفكر.
- المسدي، ع. ا. (1993). المصطلح النقدي وآليات صياغته. المجلد 02. المملكة العربية السعودية: نادي جدة الأدبي الثقافي.
- أنيس، إ. (1947). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بريجستراسر (1977). م. التطور النحوي للغة العربية. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بشر، ك. (1998). م. (دراسات في علم اللغة. مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن جني. (1952). الخصائص. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابن جني. (1954). م. المنصف لكتاب التصريف. مصر: وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم.
- ابن جني. (1993). سر صناعة الإعراب ط 01. دمشق: دار القلم.
- حسان، ت. (1973). م. اللغة العربية معناها ومبناها. مصر: المكتبة الأنجلو المصرية.
- حسان، ت. (1973). م. اللغة العربية معناها ومبناها. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- داود، م. م. (2001). م. الصوائت والمعنى في العربية - دراسة دلالية ومعجم -. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيبويه (1898). م. الكتاب. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية في بولاق.
- سيبويه (1966). م. الكتاب. بيروت-لبنان: دار الجيل -بيروت.
- سيبويه (1966). م. الكتاب. مصر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- سيبويه. (1982). الكتاب. ج 4. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- سيبويه (1991). م. (الكتاب. بيروت: دار الجيل.
- petit, O. (1979). بحث في فونولوجيا اللغة العربية. لبنان.
- صالح، ع. ا. (د.ت). مسائل في مصطلحات التجويد والإجابة عنها. الجزائر: دار هومة.
- عمر، أ. م. (1975). م. دراسة الصوت اللغوي. مصر: عالم الكتب.
- عمر، أ. م. (1976). م. دراسة الصوت اللغوي. مصر: دار عالم الكتب.
- فليش، ه. (1966). م. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- ابن منظور. (1955). لسان العرب. باب اللام. بيروت: دار صادر.

- systems:segmentals. Algerie- Autres, J. e. (1966). Dictionnaire de la
constantine-:/. linguistique. Paris: LAROUSSE.
- Robins:n., R. (1973). Linguistique Generale Autres, J. e. (1991). dictionnaire de
.Une introduction. Paris: Librairie linguistique. paris: larousse.
- Armand colin. Bertril), M. (1979). La phonetique. que sais-
je? France: Presses universitaires
de Fzance12 eme edition.
- أمنزاي, (1999). ديسمبر 07 arabization. Récupéré sur
المنظمة العربية Bloomfield(Leonard). (.1935). Language.
للتربية والثقافة والعلوم London: unwin university
: books/ great britain.
<http://www.arabization.org.ma/>
- عبد اوي, ف. س. (2024). ديسمبر 07. الموسوعة MelianiRouag. (1988). A contrastive
القرآنية Récupéré sur analysis of the arabic and english
: phonological
<https://audio.quranpedia.net/>